Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وأُخْرَى أُصادِي النَّفْسَ عنها وإنَّها ... لَمَوْرِدُ حَزْمٍ إنْ فَعَلْتُ ومَصْدَرُ
فَرَشْتُ لَها صَدْرِي فزَلَّ عنِ الصَّفا ... به جُؤْجُؤٌ عَبْلٌ ومَتْنٌ مُخَصَّرُ
فخالَطَ سَهْلَ الأَرْضِ لم يَكْدَحِ الصَّفا ... بِهِ كَدْحَةً والْمَوْتُ خِزْيانُ يَنْظُرُ
فأَبْتُ إلى فَهْمٍ وما كِدْتُ آئباً ... وكَم مِثْلها فارَقْتُها وهْيَ تَصفِرُ

وذلك هو العربي الجاهلي ، وتلك هي النفس العربية الأصيلة التي ما تعلمت بعد أن تموه الحقيقة بالصنعة والكذب ، فالحياة عنده هزء بالحياة ، وتعلق بها ، هي كرامة تحفظ ، ومال يبذل ، وحرية تقدس ، ويد تمتد ، وانطلاق من غير انكفاء في جو من الاطمئنان والحذر ، واللاوعي الحازم .

والشنفرى هو أيضاً ابن الصحراء وابن الطبيعة العربية الأصيلة ، وابن الفطرة الغنية بالاعتزاز والشرف والكرم وعلو النفس ، فجفاف الصحراء ، ومطاردة الشدائد كرّاً وفرّاً ، والتنكر للمذلة ، وإيثار الوحوش على الأهل لأنها أحفظ للسر وأحرص على الجار وإن جار ، والاكتفاء بالقليل مادة وسكناً . والصبر على الجوع ، وإيثار التراب على طعام المتفضلين ، ومجاراة الأيام ، والقبول بالفقر والغنى ، والارتياح إلى القوس ... هذا هو الشنفرى ، وهذا موضوع فخره ، وتلك طريقته الاعترافية الحافلة بالعذوبة . وها هو ذا ، وقد دخل الغيظ نفسه ، فغادر الأهل والأصحاب ، وراح يضرب في الفيافي ولا أنيس له سوى السهام ووحوش الصحراء ، ثم نظم قصيدة كانت حكاية لحاله في عزة نفسه وسخطها ووحشتها . نجتزئ منها بما يلي :

أَقيموا بني أُمِّي صدورَ مَطِيِّكُمْ ... فإني إلى قومٍ سواكم لأَمْيَلُ
فقد حُمَّتِ الحاجاتُ والليلُ مُقمِرٌ ... وشُدَّتْ لِطَيَّاتٍ مطايا وأَرحُلُ
وفي الأَرضِ مَنْأًى للكريمِ عن الأَذى ... وفيها ، لمن خاف القِلى ، مُتَعَزَّلُ